مجلة دراسات إنسانية واجتماعية / جامعة وهران02/ المجلد 13ع 02.
ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X / Prefix: 10.46315

هايدغر ولفيناس: تباين المواقف تجاه النازية

Heidegger and Levinas : Divergence of positions towards Nazism.

نصرف سمية Nasref Soumia * nayanasref@gmail.com	فلسفة غربية	جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان – كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية/ الجزائر
DOI : 10.46315/1714-013-002-004		ORCID: /

الإرسال: 2024/02/10 **القبول:** 2024/05/22 **النشر:** 2024/06/16

**

ملخص:

إن العلاقة التي تجمع بين مارتن هايدغر وإيمانويل لفيناس، كانت ذات تباين واضح في مواقفهما السياسية وخاصة إذا ما تعلق الأمر بالنازية، فلفيناس كان يعارض النازية بشدة ووضوح من خلال أعماله وكتاباته، كما أكد على رفضه للعنف والاستبداد الذي كان يتمثله النظام النازي، وكان يشير إلى أهمية القيم الأخلاقية والإنسانية العميقة، إضافة إلى دعوته على التفكير في المسؤولية الأخلاقية والتعاطف مع الآخرين. أما هايدغر فيُعرف عنه انضمامه إلى الحزب النازي مباشرة بعد أن استولى هتلر على مقاليد الحكم، لكن بعد الحرب نفى هايدغر صلته بالنازية وأن أفكاره كانت منفصلة عنها ويجب النظر إليها بشكل مستقل. لقد أحدثت العلاقة العاصفة بين هايدغر والفلسفة الفرنسية زوبعة من الجدل وتكمن المعضلة في أن فكرة حقوق الإنسان، التي تغلغلت بعمق في النسيج الثقافي الفرنسي وخاصة عند لفيناس أكبر المتأثرين بأفكاره الفلسفية، قد تلقت ضربة شديدة بالكشف عن ماضي هايدغر المرتبط بالنازية مما أدى إلى تشويه فهمه والتشكيك فيه بطرق متعددة، والإعلان الصريح عن العداء لأفكاره الفلسفية ورفضها.

كلمات مفتاحية: هايدغر؛ لفيناس؛ الاستبداد؛ النازية؛ الفلسفة الفرنسية.

Abstract:

The relationship between Martin Heidegger and Emmanuel Levinas had a clear difference in their political positions, especially when it came to Nazism. Levinas was strongly and clearly opposed to Nazism through his works and writings. He also affirmed his rejection of the violence and tyranny represented by the Nazi regime, and he referred to... The importance of deep moral and human values, in addition to his call to think about moral responsibility and compassion for others. As for Heidegger, he is known to have joined the Nazi Party immediately after Hitler seized power, but after the war Heidegger denied his connection to Nazism and that his ideas were separate from it and must be considered independently. The stormy relationship between Heidegger and French philosophy has caused a whirlwind of controversy. The dilemma lies in the fact that the idea of human rights, which has penetrated deeply into the French cultural fabric, especially among Levinas the greatest, who was influenced by his philosophical ideas, has received a severe blow with the revelation of Heidegger's past linked to Nazism, which led to distortion of his understanding and skepticism. In it in multiple ways, and explicitly declaring hostility to and rejection of his philosophical ideas.

Keywords : Heidegger ; Levinas, tyranny ; Nazi ; French philosophy.

**

* - نصرف سمية: nayanasref@gmail.com

***- مقدمة:**

تعتبر قضية انتماء الفلاسفة للحزب النازي من أهم وأصعب القضايا التي كان لا بدّ للفصل فيها، فهي ليست مجرد واقعة عادية، بل تتعلق بسيرة الفرد،خاصة إن كان هذا الأخير من كبار الفلاسفة آنذاك وهو مارتن هايدغر، فيلسوف الظواهر والأنطولوجيا والوجودية، الذي تم انتخابه عميدًا لجامعة فرايبورغ في منتصف الأربعينيات، نهاية أفريل 1933، كان يشتهر بكتبه الفلسفية، وبالتخصيص كتابه الأكثر صعوبة في التفسير والمثير للجدل كتاب "الكينونة والزمان" سنة 1927، إضافة إلى مقالات ودراسات متنوعة حول الفن واللغة والتكنولوجيا والشخصيات الرئيسية في التقاليد الفلسفية الغربية، ولكن بعد انضمامه للحزب النازي وصعود تيار اليمين المتطرف في أوروبا والعالم الغربي، اعتبر مارتن هايدغر من طرف كل من المثقفين الأوروبيين والفلاسفة الفرنسيين وخاصة إيمانويل لفيناس أبرز الأسماء والوجوه التي أدت بإلهامها إلى ظهور هذا التيار. لم يكن هايدغر الفيلسوف الرسمي للنازية، بل فيلسوفا مرتبطا بها ومقولاته الفلسفية تصب في تلك الإيديولوجية، ووفقًا لمتخصصين في دراسة الفلسفة الألمانية، تم استغلال فلسفته لتبرير الشعبوية والعنصرية الثقافية لليمين المتطرف، كما أنه لم يحصل على أي منصب رسمي بها ولم يكن عنصرا فعالا صاحب قرار سياسي في الحزب النازي الذي انتمى إليه رسميا، إلا أنه سخر علمه بالفلسفة لصالح إيديولوجيا لاإنسانية، عدوة للديمقراطية وللعقل وللتفكير الحر ومدمرة لأسس التعايش السلمي بين البشر (المزوغي، م، 2014، 171)، من هنا نطرح المشكلات الآتية الخاصة بورقة بحثنا: كيف كانت علاقة هيدغر النازي بالفلاسفة الفرنسيين؟، وهل حقا فلسفته تقود حتما إلى الإيديولوجيا النازية، والتنظير لها فعلا والدعوة إلى العنصرية، أو على الأقل إلى تبني أفكارها الأساسية؟، أم أن انتماءه إلى النازية، كان خيارا ضروريا لا بدّ منه في تلك الفترة؟، وكيف أقام لفيناس الرفض لنازية هايدغر رغم اعترافه به كفيلسوف القرن؟.

1- <u>هايدغر والاشتراكية القومية:</u>

كان مارتن هايدغر واحدًا من أصعب الفلاسفة على الفهم لأنه، من ناحية، كان ماهرًا جدًا في إخفاء أفكاره الفلسفية وراء غيوم من النثر المستغلِق، ومن الناحية الأخرى، قادرًا على عدم إظهار أفكاره السياسية الشخصية خلال الحقبة النازية . كان في الوقت نفسه واحدًا من أقوى الفلاسفة تأثيرًا؛ تسربت أفكاره المناهضة للفردانية وحفزت أقصى اليمين، وأقصى اليسار، و«الإسلام «السياسي الراديكالي العنيف، والحركة البيئية الراديكالية – التي منحها قوتها مقاله المؤثر «السؤال عن التقنية»، و«مقاتلي» العدالة الاجتماعية الذين يراقبون ويُسكتون الآخرين باسم «اللياقة السياسية» Correctness Political وهو تعبير يعود إلى الفيلسوف الماركسي الذي أقام في الولايات المتحدة، الذي رأى أن علينا ألا نتسامح مع الأفكار العنصرية واليمينية المتطرفة،

ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X / Prefix: 10.46315

وأن نفرض بالتالي لغة لائقة على المجال السياسي تستبعد تلك الأفكار، ما اعتبر من قبل اليمين تقييدا لحرية الرأي)– وحركات جمعوية Collectivism هي الفلسفات التي تؤكد أولوية الجماعة، وهي بالتالي ضد الفردانية، والجماعانية في تأكيدها ارتباط الفرد بالجماعة ليست بكل أطيافها جمعوية بالضرورة تؤكد أولوية الجماعة عليه، وإنما أحيانا تنتقد فحسب فردانية الليبرالية الكلاسيكية المتطرفة).

ترعرع مارتن هايدغر في بيئة مشحونة بالعنف والنزاع المستمر بين الكاثوليك والكاثوليك القدامى، وكان هذا الصراع الديني الأول هو أحد المكونات الأولى للمناخ الروحي والسياسي الذي انغمست فيه طفولته. فمن تجاربه الأليمة كطفل ناتج عن هذا النزاع، تجلى تأثيره على وجدانه، حيث كان يشاهد بسخرية الفارق بينه وبين زملائه الكاثوليك القدامى، الذين كانوا يتمتعون بالثراء والرفاهية أكثر منه. وقد كان هذا أولى المواضيع التي أثارت اهتمامه، خاصة وأنه نشأ في أسرة كاثوليكية، حيث كان والده خادمًا في الكنيسة، ووالدته كانت ابنة مزارع فقير. وعلى الرغم من دراسته المستمرة بمنحة من أحد الأمراء، إلا أن النتيجة الحتمية لهذا النزاع الديني كانت العداء الاجتماعي. عشرات من قراء ما بعد الحرب العالمية الثانية الذين حيرتهم كتاباته عن «الوجود» ظنوا أن هايدغر كان يكتب عما يعنيه أن «تكون» كائنًا إنسانيًا فردًا أو أن توجد أنت أو أنا كبشر. في الحقيقة، كما أوضح خلال فترة الاشتراكية الوطنية (النازية)، عندما كان يستطيع التحدث بصراحة أكبر عن أفكاره، الدّازين (الكائن) هو شيء نستطيع التحدث عنه فقط بالضمير الجماعي «نحن»، وخصوصًا، الدّازين الخاص بشعب معين، الشعب الألماني. كما أعلن هايدغر في محاضراته بعد استيلاء الحزب الاشتراكي الوطني على السلطة: يعني هذا، أنه «بعثوره على قيادته»، سيقرر القائد (الفوهررder Führer) لكل الشعب. وحقًا، هذا الدّازين الجماعي، بعثوره على قيادته، ستُبث فيه القوة: «فقط عندما نكون ما نحن صائرون إليه، من عظمة استهلال الدّازين الخاص بروحنا وشعبنا، حينها فقط نكون جديرين بقوة الهدف الذي يكافح تاريخنا للوصول إليه. استهجنه هايدغر رينيه ديكارت - المشهور بصياغته لجملة «أنا أفكر إذن أنا موجود Cogito ergo sum»- لأنه، بالنسبة إلى ديكارت، "أنا الكائن الإنساني المفكر" تنتقل بالتالي إلى مركز المعرفة البشرية الممكنة حقًا،فابتغى هايدغر استبدال الـ «أنا» بالـ «نحن» الجماعية. كما صرح في سلسلة محاضرات غريبة جدًا عن المنطق ألقيت في ظل النظام الاشتراكي الوطني، والتي لم يكن يربطها إلا القليل بما هو معروف عادة كالمنطق والكثير جدًا بعنصرية هايدغر المتحمسة والاشتراكية الوطنية، «نملك ... ميزة أن التساؤل عن وجودنا نحن قد حان وقته، وهو المختلف عن

وقت الليبرالية، وقت-الأنا. الآن هو وقت-النحن (بالمر، ت، 2016). لم تكن الـ «نحن» مجرد هذا أو ذاك «الحشد المجهول» أو «الحشد الثوري»، لكن الشعب الألماني.

بدأت المسألة بعد عام 1962م مع نشر كتابين: "قراءة في هايدغر" و "هايدغر والنازية". تناول الكتابان وقائع ووثائق أثارت اهتمام الرأي العام. أخذ بورديو يعتمد على القراءة البنيوية لتحليل الخطاب الفلسفي، ووصف فلسفة هايدغر بأنها ملتبسة، حيث يظهر خلافاً بين الظاهر والباطن؛ إذا كان ظاهرها فلسفياً، فإن باطنها سياسي. وصف غوبفارت هايدغر بأنه "فيلسوف مركزي لليمين المتطرف المعلوم" (عمران، ع، 2020). في السنوات الأخيرة، ساهمت أبحاث جديدة في فهم دور الفكر "الهايدغري" في سياسات أقصى اليمين المعاصر، وخاصة في أميركا والقومية البيضاء في روسيا. يرى اليمين المتشدد نفسه ليس فقط المدافع عن البيئة، بل والمدافع عن الطبيعة باعتبارها جزءًا لا يتجزأ من التقاليد المحلية والتراث الوطني والهوية البيضاء. في ألمانيا، ترتبط شعبية هايدغر في اليمين المتطرف بأفكاره "الوطنية" ورؤيته لهوية بيضاء تجعل الشعب والنخب واحدة على قاعدة محلية من الروح المشتركة وتقاليد محددة عنصرية وهي الأعلى من الآخرين بمنظور ثقافي وديني، وساهم تنظير هايدغر الفلسفي في تحديد الدم والتراب كأساس قومي، وتكلم عما أسماه "التأثير الخبيث" للتكنولوجيا والنزعات العالمية على "الوجود"، وتناول خطورة ما سماه قوى التصنيع المعولمة على "الوجود الألماني"(عمران، ع، 2020). وتتلخص فلسفة هايدغر حول "العرق" كمحور أساسي للحركة النازية وسياساتها الشعبوية، وذلك بدمج مفاهيم العرق والدين في مصطلح غامض حول الروح أو الجوهر الثقافي ما جعل العنصرية تتحول إلى "جمالية وثقافية" وتأكيدا على تفوق أفكار الأبيض الأوروبي وتحديد الهوية الألمانية النازية باعتبارها نقيض العالم كله، في زمن الحرب العالمية الثانية. قدمت فلسفة هايدغر بربطها بين مفاهيم الهوية والتراث والقضايا البيئية ودحضها للعولمة التكنولوجية، مؤنا غنية لليمين المتطرف المعاصر، عبر المطالبة بحماية وتمييز "الأشخاص البيض العاديين" والوطن والثقافة الوطنية البيضاء ضد النخب التكنوقراطية اليسارية الليبرالية المعولمة، وغيرهم من ذوي الأصول العرقية الأخرى.

في الواقع، كان هايدغر متأثرًا ببعض جوانب الاشتراكية القومية، حيث كان مؤمنًا بالاستحضار الرومانسي لمصير الشعب التاريخي المتجذر في مكان معين من خلال العمل والتقاليد والقيم المشتركة. كان يرى أن رسالته الخاصة تتمثل في تحقيق الرفاهية الروحية للشعب الألماني، وهذا ما جعله يتعاون مع النازيين؛ "مهمةٌ روحية لا تلينُ وتُجبرُ مصير الشعب الألماني على تحمّل طابع تاريخه"؛رغم أن مفهوم الأصلانية يستند عادةً على الفردية، إلا أن هايدغر كان يؤكد دائما

على ضرورة اندماج الفرد في المجتمع التاريخي. يؤكد المدافعون عنه أن الحرية الحقيقية لا تشير بالضرورة إلى "النازية"، ولكن يجب قراءتها باستذكار وتوجيه. وقد أثارت بعض الوثائق، خاصة تلك التي تتعلق بمعاداة السامية، جدلاً حول مواقفه. على سبيل المثال، تم اكتشاف رسالة كتبها هايدغر في عام 1929 يحذر فيها قائلا: (إما نهب من جديد حياتنا الروحية الألمانية لقوى ومربون حقيقيون؛ ينبعثون محليا، أو نسلمها نهائيا إلى عملية تهويد متنامية بالمعنى الواسع والضيق كذلك للكلمة)(رابوين، د، 2006). وهذا ما جعل هوسرل HUSSERL يكتب سنة 1935م إلى« ديتريش ماهنيك DEITRICH MAHNEKE» ، بشيء من المرارة أمام تطور تلميذه السابق: (لقد عبر عن معاداته السامية بطريقة قوية أكثر فأكثر، هذه السنوات الأخيرة. نفهم من ذلك، خلافه مع فريق من طلبته اليهود الأكثر موهبة داخل الكلية) (رابوين، د، 2006).

قدم هايدغر نفسه في مقابلة مع جريدة دير شبيغل عام 1966م، كبطلٍ لا يعمل إلا لصالح جوهر الجامعة الألمانية، وهو ما يُنفيه المؤرخ الألماني هوغو أوت، الذي يُشير إلى أن هايدغر لم يُنتخب بالإجماع ليصبح زعيمًا للجامعة، بل كان يسعى لأن يصبح الزعيم الروحي لجامعة الفوهرر ولنظام الجامعة الألماني بأسره. بالفعل، قام هايدغر بالاتصال بـ هتلر في 20 مايو 1933م، وذكر جوزيف سوير في مذكراته أن زميله والتر يوكين اشتكى من سلوك هايدغر الذي كان يُعتبر فقط في صالحه الخاص وفقًا لنظام الفوهرر. يبدو أنه كان يعتقد أنه الفيلسوف المنتظر والقائد الروحي للحركة الجديدة منذ هيراقليطس. لكن تحولًا في تفكير هايدغر حدث، وتغيرت نظرته للنازية، حيث بدأ يرى أن أجهزة الدعاية النازية تعبر عن خراب العالم وتدمير الأرض، وأن النازية تعبير عن العدمية والرفض للمبادئ الدينية والأخلاقية وتمثل ميتافيزيقا صاخبة ومدمرة بديلة عن ميتافيزيقا الوجود. يُفترض أن هايدغر كان يعتقد أن العالم الغربي يتجه نحو الحرب الشاملة، ويعيش على حافة العدمية العميقة والرفض لجميع المبادئ الدينية والأخلاقية، وأنه سيصبح أرضًا قاحلة يسكنها وحوش متحكمون في التكنولوجيا والأدوات، وسيعيشون في عالم من الجهل والبربرية غير المسبوقة أين كل شيء مباح ومسموح.

2- هايدغر والفرنسيون:

لم تكن قضية انتماء هايدغر إلى النازية مثار اهتمام كبير في الأوساط الأكاديمية قبل عام 1962م ، حيث كان يُنظر إلى فلسفته بوصفها بدايةً جديدةً للفكر الأوروبي، وفكرة تقويض تراث الحداثة. كان يعتبر خطابه الفلسفي خطابًا مستقلاً داخل سياقه الخاص، وكان الجميع يعرف موقفه من النازية بالفعل. وافق هايدغر على الانضمام للحزب النازي في عام 1932م بعد فترة

قصيرة من توليه رئاسة جامعة فرايبورج. وادعى أنه انضم لمصلحة الجامعة فقط، وشرطه الصريح كان أنه لن يتولى أي منصب حزبي أو يشارك في أي نشاط حزبي. كانت فترة انتمائه للحزب النازي ورئاسته للجامعة قصيرة، وخلالها تحدى السياسة الرسمية بشكل متكرر. على سبيل المثال، عين عمداء يهود وحظر نشْر ما يسمى بـ "إشعار اليهود"(بوناب، ك، 2020) على ممتلكات الجامعة ومنعَ حرق كتبهم ، ما أدى بذلك إلى صراع مع السلطات النازية. وفي نهاية فبراير 1934م، وصلت الأمور إلى أوجها حينما طُلب من هايدغر عزل اثنين من العمداء الذين عينهم(مولندورف في كلية الطب، و إريك وولف في كلية الحقوق) ، ولكنه قابل هذا الطلب بالرفض.

يوثّق هايدغر أنه كان يتعرض للمراقبة والاضطهاد من قبل النظام عندما قاومه روحيًا بين عامي 1934م و1935م. فإذا وُجِدَت تقارير سرية حول هايدغر، يمكن للمرء أن يلاحظ أن أولئك الذين استعرضوا أرشيفات وزارة الشؤون الخارجية الفرنسية، إما اختاروا التركيز على أن هايدغر ظل، حتى عام 1938م، موضوع "ثقة" سياسيًا (ولم يُعطِ أية إشارة ملموسة تؤكد معارضته للنظام)(رابوين، د، 2006)، أو استنتجوا من الإشارات المحددة إلى طبيعة الحزب التي انضم إليه كتاب مثل "أرنست كريك"، الذي كان يقود مجموعة ضده داخل الحزب. هذا التوضيح ليس مهمًا فقط لإظهار أن "مقاومة" هايدغر لم تكن معروفة لدى أجهزة المخابرات عام 1938م، ولكنه يشير أيضًا إلى أن صلة الفيلسوف بالإيديولوجيا النازية المهيمنة يجب أن تُميز عن انخراطه في الحركة السياسية.

شرع الفرنسيون يدركون حقيقة مفزعة، وهي أن "رسالة في النزعة الإنسانية" التي صاغها هايدغر، لم تكن إلا وهمًا كبيرًا. والأمر المثير في القضية هو وصول الفيلسوف الألماني هايدغر إلى مكانة مرموقة في فرنسا بعد الحرب العالمية الثانية، على الرغم من حمى المشاعر الفرنسية ضد ألمانيا النازية وحلفائها في ذلك الوقت. وقد فسر البعض هذا الظاهرة بغياب الفهم الكامل للفلسفة العنصرية النازية وتفشي الجهل بطبيعة أعمالها الوحشية. ومع تزايد الوعي بممارسات النازية، تأثرت مكانة هايدغر في فرنسا وأثارت ردود فعل فكرية قوية لم تهدأ بعد. على مر العقود أي ما يقارب قرن ونصف قرن من الزمان، كان للفلسفة الألمانية السيطرة على الفلسفة الفرنسية، حيث اعتمدت فرنسا نظريات فلاسفة ألمان مثل كانط وهيجل ونيتشه وماركس وفرويد في نهاية العشرينيات من القرن العشرين.

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، أصبح هايدغر نجمًا ساطعًا في سماء الفلسفة الفرنسية، وكان له مجموعة من الحراس والمناصرين الذين اعتبروا أفكاره مقدسة وخالية من الخطأ والانتقاد. واستمرت هذه الحالة حتى صدور كتاب مثير للجدل بعنوان "هايدغر والاشتراكية الوطنية" للباحث الفرنسي فيكتور فارياس، أحدث هذا الكتاب اشتباكات حادة بين هايدغر

والطبقة المثقفة الفرنسية، مما أدى إلى اندلاع موجة من الانتقادات والرفض لأفكاره، حيث اتهم الكتاب هايدغر بالتعاطف مع النازية والإيمان بمبادئ العنصرية لهتلر، ونسب إليه كتابة بعض خطب هتلر الشهيرة، مما أثار صورة متناقضة بين فلسفة الذبح والإفناء في النازية ومبادئ الإنسانية التي اتخذها هايدغر مداعبة لخيال الفرنسيين. وفي بداية اتهامه بالنازية، طلب هايدغر مساعدة الفلاسفة الفرنسيين؛ فأرسل رسالة يشيد فيها بسارتر ويصفه بأنه الفيلسوف الوحيد القادر على فهم أفكاره بشكل صحيح، ولكن لم يجب سارتر على ذلك. بعد بضعة أشهر من ذلك، تلقى هايدغر رسالة من جان بوفريه في نوفمبر 1948م، وهو شاب غير معروف في ذلك الوقت. استغل هايدغر هذه الفرصة ورد برسالة يأمل من خلالها تشجيع المزيد من الفلاسفة الفرنسيين على الرد، واختار الموضوع الأكثر إثارة للاهتمام بالنسبة لهم، وهو "رسالة في النزعة الإنسانية". تعتبر هذه الرسالة بمثابة بداية جديدة لفهم هايدغر، حيث عدل فيها الكثير من مبادئه الفلسفية ومنطلقاته العامة السابقة. أبرزت الرسالة نقاطًا رئيسة، بما في ذلك عمله على استرداد ثقة الفلاسفة الفرنسيين فيه فتجنب التورط تماما مع سارتر، والتركيز على قضايا الإنسان التي كانت محل اهتمام وانتقاد بعد تورطه الفكري في المبادئ النازية. كما أبرز نمطًا فلسفيًا جديدًا أدى إلى تغيير حقيقي في موقفه تجاه القيم الإنسانية. يثير الاهتمام أن هايدغر، الذي تخلّى عن دوره كرجل دين في الكنيسة الكاثوليكية في عام 1919م وانتقل إلى مبدأ الوجودية، استخدم اسم (الله) في رسالته هذه أكثر من 29 مرة، وذلك استجابة لتوجّه الفرنسيين الغالبية منهم إلى الديانة الكاثوليكية "مذهب الرومان الكاثوليك". في الوقت نفسه، استغل الفرصة لتهدئة الماركسيين من خلال تقديره للماركسية، وكانت رسالته هذه فرصة ذهبية استغلها أنصاره في فرنسا لإنقاذه، حيث كان يتطلب ذلك إعادة تقييم الموقف ككل وإعادة رسم صورة جديدة له تفصل بين نظرياته الفلسفية ومواقفه وقناعاته السياسية، على الرغم من التناقض الواضح بينهما، وكان هايدغر مثالًا للفلاسفة الذين كانت نظرياتهم تتعارض مع تصرفاتهم الفعلية.

من المسلم به، حسب الفيلسوف اليهودي إريك فايل Eric weil أنه لا أحد طلب من السيد هايدغر أن يخاطر بحياته في مشروع خطير وميؤوس منه(Lescourret, M, 2005, 201)، ولكن وجب عليه أن يفهم أنه لا يستطيع أن ينسحب عن موقف الرجل العالِم ولا أن يغطي نفسه ببراءة الفيلسوف المنفصل عن شؤون هذا العالم. سيكون له دفاع ممتاز إذا أراد القول أنه الفيلسوف المقرِّر، قرر تحمل المسؤولية الكاملة عما أخذه من أجل المصير، والذي فهم أن هذا المصير ما كان إلا مهزلة دموية لعدم تحمل المسؤولية ورفضها، والخيانة بكل صدق، الخداع المسطح لإرادة القوة الأولية، الخطر الذي كان مواجهة الموت ولكن موت الآخرين. لقد كان جزءا من حرب غير ضرورية وفظيعة بشكل مضاعف، فكلّ ما تذرّع به ليس إلا تهرّب وخداع للعين. لقد أراد ما أراده هتلر...

يطلب اليوم أن ننسى وليس فقط أن نغفر، الذي سيكون ممكنا، ولكن أن ننسى كما أن الأرض بأجمعها لا تفوح منها رائحة الجثث بفضل الرجل الذي لأقسم هو وطلابه باسمه.

تساءل الفلاسفة حول ما الذي دفع أحدهم إلى الضياع في إيديولوجية قاتلة ومجرمة، وحاولوا تقديم إجابات فلسفية حول هذا السؤال، وكانوا متحمسين أكثر لتقديمها –مع أو ضد- على أن الفلسفة الهايدغرية، واستمرارا في إلقائها قبل الحرب، دخلت فرنسا إلى إمبراطورية imperium لم تهدد من قبل ذلك الوقت وقد اعتُبِر آنذاك "فيلسوف القرن". ويعتبر البعض جون بوفري .J Beaufret هو المعلم والملقن البادئ (Lescourret, M, 2005, 204) بجعل الهايدغرية تهيمن على الفلسفة الفرنسية بواسطة فئات من رسائل عليا –إنها قناعة يشاركها لفيناس-، هيمنة دائمة لا تزال ليومنا هذا. كان بالإمكان للمدافعين عن هايدغر أن يرتكزوا في دفاعهم على أحد أعظم الفلاسفة الإنسانيين في القرن العشرين، وهو كارل ياسبرز، بالإضافة إلى كتابات حنة آرندت التي كانت تقيم وتعمل في الولايات المتحدة في ذلك الوقت. وقد كان بالإمكان لهايدغر الذي لم يكن نازيا بالفعل، أن يتعرض لانتقادات شديدة من قبل آرندت، خصوصًا بسبب يهوديتها، لكن هذا لا يغفل عن الحقيقة أن المفكرين اليهود الأوروبيين كانوا من بين أشرس منتقدي هايدغر، سواء كانوا يهاجمونه على أساس فلسفي أو بسبب تأثيره السلبي المفترض على الفكر اليهودي.

3. **<u>لفيناس ونازية هيدغر:</u>**

عند بداية الحرب العالمية الثانية، عمل لفيناس كمترجم من اللغة الروسية، وبما أنه كان يحمل الجنسية الفرنسية، انضم إلى الجيش الفرنسي، لكنه أسر وأُرسل إلى ألمانيا حيث قضى خمس سنوات هناك. خلال تلك الفترة، بيّن لفيناس اهتمامه بالتعليم اليهودي وضرورة إعادة بناء الهوية الروحية اليهودية بعد الكارثة التي عاشتها خلال المحرقة. بالرغم من التزاماته المهنية والتعليمية، كتب لفيناس العديد من المقالات التي ناقش فيها التحديات المتزايدة التي تواجه الشؤون اليهودية، وكذلك المحنة الكبيرة التي تعرضت لها، والتي لم تلقَ الاهتمام المناسب في الأوساط الفلسفية، أصل هذه المقالات هو كلمة ألقاها توم جوردون بالمر، وهو كاتب وأكاديمي ليبرتاري معروف، في الفريدوم فيست 2016م، وهو احتفال ثقافي ليبرالي يعقد سنويا تتناول تلك الكلمة ثلاثة من أبرز الفلاسفة الذين تسببوا في نظره بشكل خطر في العداء للحرية ومن بينهم هايدغر. وتنعكس (هذه المقالات) التي نشرت في كتاب الحرية الصعبة عام 1963م. وقد كان من الأوائل المؤسسين لـ "اجتماع العقول اليهودية الفرنسية" Colloque des intellectuel juifs de langue française، وهدف هذا الاجتماع كان إعادة بناء المجتمع اليهودي المثقف في فرنسا بعد الحرب، من خلال ابتكار الروابط بين القضايا الاجتماعية والسياسية والفلسفية الحديثة والتقاليد اليهودية. وتصف الباحثة ماري آن لاكوريه إيمانويل لفيناس بأنه شخصية متنوعة "البوتقة اليهودية –الروسية" ، يجمع بين الأصول اليهودية والروسية، إضافة إلى تأثره بالثقافة الألمانية والفرنسية، فهو صاحب الأصل المركب (Lescourret, M, 2006, 20-21. إن لفيناس كان يتميز بفكر معقد لا يمكن

تصنيفه باتجاه واحد، بل يتأسس ضمن سياق واسع من التنوع الفكري متأسس ضمن أفق إيتيقي ثيولوجي دائما.

لم يكن هايدغر أستاذًا ساذجًا اختاره وزير التعليم ليأتي ويتولى عبء الإدارة بعد أن أبعدت السلطات سلفه. كشفت سجلات الحزب أنه كان عميلًا ومتعاونًا نشطًا مع الحزب الاشتراكي الوطني (النازي) قبل أن يتم تعيينه كرئيس للجامعة، وقد تآمر معهم بنشاط للاستيلاء على الجامعة. وقد أدى التزام هايدغر بالاشتراكية القومية لإحداث صدمة وخيبة أمل على لفيناس الشاب وكيف كان حاسما من أجل عمله المستقبلي واقتناعه الفلسفي بالمشروع الهايدغري بين عامي 1930م و1932م، خطط لفيناس لتأليف كتاب عن هايدغر، وهو مشروع تخلى عنه معارضا لأفعال هايدغر في عام 1933م. نُشر جزء من الكتاب في عام 1932م باسم "مارتن هايدغر والأنطولوجيا" (Levinas, E, 1996, 11-32)، ولقد كان أول مقال ينشر لهايدغر باللغة الفرنسية. كتب ليفيناس في قراءة تلمودية في عام 1963م: "يمكن للمرء أن يغفر للعديد من الألمان، ولكن هناك بعض من الألمان من الصعب مسامحتهم. إنه لمن الصعب مسامحة هايدغر"(كريتشلي، س، 2004). كان ألكسندر كوايري Alexandre Koyré من أخبر لفيناس بانضمام هايدغر للحزب النازي بعد عودته من رحلة إلى ألمانيا، فيقول لفيناس بأنه تعلم في وقت مبكر جدا – ربما حتى قبل 1933م- وبالتأكيد بعد النجاحات الكبيرة لهتلر خلال انتخابات الرايشتاخ Reichtag تعاطف هايدغر مع الاشتراكية الوطنية، ولكن ومع أمل ضعيف قد يكون ارتباط هايدغر خطأ مؤقت في التفاهم العملية لروح مضاربة كبيرة، ويقول لفيناس لصديق ألماني فيما يخص أستاذه الفرايبورجوازي :"لو التقيت به بعد الحرب، لم أكن لأصافح يده"(Lescourret, M, 2006, 205). وبحلول عام 1934م وبناءا على طلب من المجلة الفرنسية اليسارية الكاثوليكية التي تأسست حديثا « Esprit »، كتب لفيناس تأملا لا يُنسى حول فلسفة ما عبّر عنه المحرر إيمانويل مونيه، بـ"الهترلية"(كريتشلي، س، 2023). إذا كانت ذكريات الرعب النازي تسيطر على حياة لفيناس، فإن حياته الفلسفية كانت مليئة بالنشاط والاهتمام، مرتبطة بالتساؤلات حول كيف يمكن لفيلسوف بارز مثل هايدغر أن ينجرف نحو النازية، وعلى الرغم من عدم استمرار هذه الحالة لفترة طويلة.

نجد أن لفيناس يرى لهايدغر بنظرة سلبية، لعل البعض لا يراه استتباعا منطقيا لـ"تحليلية وجودية"، بل يستكشفه فيما يمكن تسميته "موقف سياسيا غير محسوم بدقة لدى هايدغر، وهو الموقف الذي جعله ينعطف بـ"الأنطولوجيا الخاصة به"(الضاوي، م، 2020، 21) لتكون متفقة مع أغراض نازية، اتفاقا جعلها صماء إزاء نداء الآخر – الإيتيقا ذاتها. إذ يرى لفيناس مثله مثل ج. لاكروا J. Lacroix "أعظم فلاسفة زمانه"، غير أن ارتباطاته السياسية التي تأتي سنوات قليلة بعد" الوجود والزمن"، ومن ثم تواطئه مع القومية الاشتراكية، تجعل منه نموذجا لفيلسوف لا يمكن "تبرأته"(الضاوي، م، 2020، 67)، ويُعدُّ هذا الانخراط أحد أهم الأسباب التي دفعت لفيناس إلى توجيه نقد مخرّب critique dévastatrice لفلسفة

الرجل وتوجهاته المذهبية، وخاصة في "الكلية واللامتناهي" (1961م) الذي تكتمل فيه صيغة الطلاق بين الفيلسوفين، لتصبح صورة هايدغر في فكر لفيناس غير قابلة للصفح.

لا يتحدد الإنسان عند لفيناس بالمعرفة بل بالإيتيقا، وتتجسد هذه العلاقة الإيتيقية بلقاء وجه لوجه كما يوضحه لفيناس على أنه الوجه العصي عن الرؤية واللمس والإحساس لأنه ليس مرئيا، فالوجه في حضوره يكون في رفضه أن يكون محتوى للفهم كموضوع أو محتوى لهوية الأنا(Levinas, E, 1971, 211). ويرى أن الأخلاق تتعارض مع الطبيعة ويعارض بشدة أي نظرية طبيعية من هذا النوع بل والنظرية الأخلاقية في حد ذاتها، إذ حسبه أن الحديث عن الأنواع البيولوجية به صدى لا يمكن تجاهله من الفكر النازي(إيجلتون، ت، 2017، 257) ، فالأخلاق عنده أصلها الجسد لكنها أيضا متسامية عنه. فهو يمتلك رؤية راسخة للأخلاق، حيث يسمع نداء اللاتناهي من المحرومين والمعدمين، وهؤلاء عند هذا المناصر للصهيونية (إيجلتون، ت، 2017، 270) على سبيل المثال ليسوا الفلسطينيين بالتأكيد، فهو وإن كان يطالب الإنسان بالتخلي عن ذرائعه الاستبدادية، لا يوجه نفس المطلب لدولة إسرائيل. فالآخر "اليهودي" هو دائما "الضحية" الأبدية المطلقة في التاريخ عند لفيناس، فيستحضر مضامين الحكمة التلمودية adage talmudique بقول: "من قتل نفسا إنسانية واحدة في إسرائيل فكأنما قتل عالما بأكمله. ومن أنقذ نفسا واحدة في إسرائيل كأنما أنقذ عالما بأكمله"(الضاوي، م، 2020، 346)، فهو يصنف الكارثة ضمن المآسي الكبرى في التاريخ الإنساني ولكنه يشدد على الوضع الأنموذجي للكارثة اليهودية، لأنها حادثة لا سابق لها وتستحق التعويض عنها على نحو فريد.

أجرى هايدغر حوارا مع شبيغلSPIEGEL سنة 1966م (تحت إلحاح كاستنرKastner)، وطُرِح بعد وفاته سنة 1976م كتاب مخصص بشكل مدهش لتفسير انضمام هايدغر للنازية، حيث يقتصر على إدراج نقده للنازية ضمن سياق "التقنية الكونية" في نقد أكثر وأشمل عمومية" كما أشار إلى ذلك فعلا دومنيك جانيكوDOMINIQUE JANICAUD . وفي نقد آخر أشمل للتقنية الكونية التي تستهدف أيضا الرأسمالية والشيوعية، يعكس دومنيك جانيكو النقطة العمياء لجميع "قضايا هايدغر": هل يكفي ذلك لتأسيس مقاومة ضد النازية؟ هل يقوي تحليل هايدغر الفلسفي للواقع السياسي على اعتباره "مقاومة" للنازية؟ هل يجعل ذلك منه محايداً تماماً في مواجهة النازية؟، ألا يسحق ذلك كل خاصية للنازية، وبالتالي أيضا إمكانية التفكير فيها، مثلما هو الحال في النص المذهل لسنة 1949م حيث يشير هايدغر – الذي لم يتحدث أبدا مباشرة بخصوص المحرقة – LA SHOAH إلى أن الزراعة الصناعية كما هي في جوهرها ، مثل" صناعة الجثث في غرف الغاز ومعسكرات الإبادة "؟، هل ينبغي لنا أن ندين هايدغر لأنه استخدم نفس الأدوات التي استخدمتها النازية، أم يجب أن نقدره على تحليله العميق الذي كشف عن جذور الشر الحقيقية؟. نقل فيكتور فارياس سنة 1987م وثائق تشهد على انتماء هايدغر الموسع لحزب الاشتراكية الوطنية، ولكن يتمسك لفيناس بموقف تقنيُّ الفلسفة بامتنانه لهايدغر لتوفيره الأدوات لتجديد الفكر الفلسفي، ولكن الحقيقة هي أن كويري وفي وقت سابق، حذر كما يذكر لفيناس، ومع كل الآخرين، بالظن أن الجنون الهتلري لهايدغر لم يكن إلا موقفا عابرا. ولم ينكر لفيناس إعجابه الشديد بعمل هايدغر –

يؤكد نفسه على أنه أول من غادر ذاته من أجل الآخر، من سنة 1948م، في الكلية الفلسفية، أين "يتنصل إذن في البداية من المفهوم الهايدغري الذي يتصور الوحدة في حضن علاقة سابقة مع الآخر" (Lescourret, M, 2005, 205) ، كما لو أن معارضته المضاربة لهيدغر خلصته وبرأته من كل إدانة حول سلوكه العملي، وكان كلما سُئِل عن هايدغر والنازية، يقدم دائما نفس أجوبته بلجوئه أحيانا إلى هايدغر الأول الذي يخصه بالوجود والزمن.

***- خاتمة:**

بعد أن تناولنا قضية تبني هايدغر للنازية ومناداته بالعنصرية، وكيف تقبله الفلاسفة الفرنسيين وخاصة لفيناس، توصلنا إلى بعض النتائج من هذه الورقة البحثية – المتواضعة - والتي من أ همها:

- ✓ إن الصمت الذي أحاط هيدغر نفسه به، كان المغذي والعامل على صعوبة معرفة حقيقة علاقته بالنازية، ليس من جانب توثيق الحقائق والأحداث التاريخية، بل وأيضا تتعلق بتفسير طبيعة هذه العلاقة بعمل الفيلسوف.
- ✓ تمنح أفكاره للمثقفين اليمينيين المتشددين بناء نمط شعبوي يستند إلى مفهوم "المثقف المتجذر في الشعب والتقاليد المحلية" التي ركز عليها هايدغر، وتعتبرها مقاومة لأفكار "العقلانية العدمية للحداثة".
- ✓ وفي مقابلة تلك المعركة التي شرعت ضد هايدغر، دافع العديد من الفلاسفة والمفكرين البارزين في العالم الأوروبي والأمريكي بشكل عام، والفرنسي بشكل خاص عن هايدغر، أكدوا أن علاقته بالنازيين، وبالرغم من كونها خطيئة لا تغتفر من مفكر بارز، إنما كانت قبل كشف النازية عن أيديولوجيتها الدموية القاتلة، أن تتكشف النازية على نطاق واسع عن أيديولوجية دموية قاتلة، وهو ما جعلهم يدافعون عنه بعد الحرب.
- ✓ بعد الحرب، عندما كانت مسيرته المهنية كلها معرضة للخطر، أنكر هايدغر أنه كان نازيًا أو حتى متعاطفًا، وقال إنه لم يقرأ كتاب «كفاحي» بسبب بشاعة الأفكار التي وجدها فيه، وهو ما كان كذبًا بوضوح. كما اكتشف المؤرخ هيوغو أوتّ بجامعة فرايبورغ أثناء تفحصه لمقالات صحف ذلك الوقت، ومذكرات خاصة، وسجلات الحزب، ومراسلات شخصية، وكثير غيرها، أن كل ما قاله هايدغر علنًا بعد الحرب تقريبًا كان كذبًا.
- ✓ يتمسك لفيناس بموقف تقنيُّ الفلسفة بامتنانه لهايدغر لتوفيره الأدوات لتجديد الفكر الفلسفي، وكلما سئل عن هايدغر النازي اكتفى بالإجابة عن هايدغر الفيلسوف.
- ✓ حين توفي هايدغر عام 1976 لم يتوقع أحد، أو على الأقل في بال جمهور قرائه الذي لم يكن كبيراً بالطبع خارج دوائر الاهتمامات الفلسفية في ذلك الوقت، أن رئاسته للجامعة الألمانية (جامعة فرايبورغ) عام 1933 ستستخدم ضده كسلاح من قبل أعدائه في المستقبل، خاصة

حين بدأت الكتب والدراسات تنتشر، وشرعوا يتهمونه بالتواطؤ مع النازية، وحتى اتهموا فلسفته بأنها نازية بشكل لا أكثر ولا أقل، خاصةً في أواخر السبعينيات!

**

*- المصادر والمراجع:

1. المصادر:

1) المزوغي، محمد. (2014) نيتشه، هايدغر، فوكو. تفكيك ونقد (الطبعة الأولى). العراق: دار نيبور للطباعة والنشر والتوزيع.

2) الضاوي، مصطفى. (2020) من العلم إلى الإيتيقا –لفيناس قارئا لهوسرل (الطبعة الأولى). عمان: دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع.

3) إيجلتون، تيري. (2017) مشكلات مع الغرباء: دراسة في فلسفة الأخلاق، ترجمة: عبد الرحمن مجدي، مصطفى محمد فؤاد، مراجعة: مصطفى محمد فؤاد. المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي.

4) Lescourret, M. (2005). Emmanuel Levinas, Flammarion.

5) Lescourret, M. (2006). Homo philosphicos, Levinas, de l'être à l'autre, sous la coordination de Joelle Hansel. (1er édition). Paris : press universitaire de France.

6) Levinas, E. (1996). En découvrant l'existence avec Husserl et Heidegger, 3rd edn (Paris : Vrin, 1974). An english translation appeared as 'Martin Heidegger and Ontology', trans. Committee of Public Safety, Diacritics.

7) Levinas, E. (1971). totalité et infini, (essais sur l'extériorité) (1 er édition)., original édition: Martinus Nijhoff,.

2. المواقع الإلكترونية

8) بوناب كمال، مارتن هايدغر والنّازية: العلاقة الغامضة، الحوار المتمدن-العدد: 6755، 2020/12/08، 20:32 سا. تم الاسترجاع من الرابط:
https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=701656

9) سايمون كريتشلي، إيمانويل لفيناس رصد تاريخي غير مكتمل، تر: شيخة اليلك، عبد الله المطيري، 2004. تم الاسترجاع من الرابط: **https://saudiphilosophy.com/studies/levinas1/?lang=ar**

10) عمران عبد الله، ترسانة أفكار التفوق العرقي.. هل ينبغي اعتبار مارتن هايدغر فيلسوفا مركزيا لليمين المتطرف؟، صفحة الجزيرة الإلكترونية، 2020/07/24. تم الاسترجاع من الرابط:
https://www.aljazeera.net/culture/2020/7/24/

3. الجرائد:

11) دافيد رابوين، هيدغر والنازية: أية قضية؟، تر: سعيد بوخليط، جريدة القدس الإلكترونية، 14 ديسمبر 2006. تم الاسترجاع من الرابط: https://modernitysite.wordpress.com/2015/11/26